سر اختفاء العصفور

قصـــــة : منـــال العمـــاوى
أشعـــار : أحمـــد زرزور
رســـوم : محسن عبدالحفيظ
إشراف فنى : محمـــود الهنـــدى

مصرية للنشر
جمهورية مصر العربية
20 شارع شريف. فيصل. الجيزة
تليفون: 5857876
محمول: 010 3558978
الطبعة الأولى: 2006
جميع حقوق الطبع محفوظة

obeikandi.com

كانت أحلى أوقات سامح هى تلك التى يقضيها فى مراقبة الطيور وهى تغرد ، وكانت له أمنية أن يفهم لغة الطيور، ليعرف ماذا تقول بعضها لبعض وهى تلعب وتطير من مكان لمكان .

فى يوم ، كان سامح جالساً فى بيته ، سمع صوت ارتطام شيء على أرض، أطل سامح من النافذة، فرأى عصفوراً صغيراً ممدداً بلا حراك ، والدم يسيل من جناحه الأيسر .

جرى سامح ، وحمل العصفور برفق شديد ونظف جرحه ، ثم وضع ضمادة عليه ، وكان سامح يعرف سبب إصابته، فلا بد أن الأولاد الأشقياء هم الذين فعلوا به هذا ، الأولاد الذين اعتادوا اصطياد الطيور، لا لهدف إلا لأنهم يجدون متعة شديدة فى هذا العمل الشرير!

أخذ سامح يعتني بالعصفور ، ويقدم له الماء والطعام ، حتى شُفى، وحانت اللحظة الفاصلة.

كان سامح يريد أن يحتفظ بهذا العصفور الجميل الذى أحبه ، لكنه كان يعرف أن من واجبه: أن يطلقه نحو السماء ليعود إلى أبيه وأمه فلا بد أنهما كانا قلقين عليه .

مسح سامح دموعه وهو يفتح النافذة للعصفور ، الذى رفرف بجناحيه وطار بعيداً.

ظل سامح حزيناً طوال اليوم ، حتى حان موعد النوم ، فى الصباح استيقظ متعجباً من ذلك الحلم الغريب الذى رآه ، وأخذ يسترجع أحداثه ، فقد رأى العصفور الصغير وقد عاد إليه من النافذة وأيقظه، ثم بدأ يتكلم معه ، والمذهل أن سامح استطاع أن يفهم ما يقوله له العصفور كان العصفور يقول: إنه سعيد بالتعرف على سامح لأنه ولد طيب، وأنهما منذ هذه اللحظة أصبح صديقين، كما قال إن اسمه صاصا ، وأن والديه عندما عرفا بما حدث، أرادا أن يأتيا ليشكراه وبعد ذلك رأى سامح العصفور يرفرف بجناحيه، فاندفعت داخل الغرفة فى رشاقة عصفور كبيرة وبعدها جاء عصفور كبير يشبهها ، عرف سامح أنهما والدا صاصا ، وكان سعيد جد وقضى معهما وقتاً جميلاً وحين بدأت الشمس تسبح فى السماء : استأذنت العصافير وانصرفت

obeikandl.com

الأعجب أن سامح كان يشعر أن كل ما حدث لم يكن مجرد حلم فهو متأكد أنه كلَّم العصفور ، وأنه صحا من نومه أثناء ذلك، ولكنه عاد للنوم بعد رحيلهم ، ولكن كيف؟!

قرر سامح أن يتوقف عن التفكير فى هذا الحلم الغريب وأخذ يشغل نفسه بترتيب حجرته ، كان يود من صميم قلبه لو كان هذا الحلم حقيقة .

ورغم أن سامح كان يبذل مجهوداً كبيراً ليبعد ذكريات الحلم عن أفكاره، إلا أنه لم ينجح فى ذلك تماماً، حتى إن والدته لاحظت شروده ، وعندما سألته لم يدر ماذا يقول :

خاف لو قص عليها حلمه العجيب ألا تصدقه ، فأجاب أمه : حلمت حلماً

طويلاً ليلة أمس ولم أنم جيداً .

ثم أكمل فطوره بسرعة قبل أن تستدرجه أمه للحديث عن الحلم .

أخرج دراجته ، وقرر أن يتنزه على ضفة النهر كعادته كل يوم وصل إلى النهر ، وهناك حدث ما لم يتوقعه أبداً، فجأة وجد أمامه العصفور الصغير كما لو كان قد ظهر من المجهول نظر العصفور إليه فى ود وقال : لماذا أنت مندهش يا صديقي ألم أقل لك بالأمس أننى لن أفارقك أبداً ؟!

إذن .. ما حدث لم يكن حلماً ..

بفرحة طاغية حدث سامح نفسه، ها هو فعلاً يستطيع أن يفهم لغة العصفور ، لا يدرى كيف أمكنه ذلك ، هذا غير معقول بالمرة ، لكنه حدث .. يا لها من سعادة !

ظل العصفور جالساً بجوار سامح يتحدث معه ، وبين حين وآخر يطير نحو السماء، فيلتقي مع مجموعة من العصافير ثم يعود سريعاً إلى سامح ، وفجأة ، قال له العصفور: سأذهب الآن فإن أصدقاءك قادمون ، أستطيع أن أراهم من مكانى هنا بوضوح ، موعدنا غداً فى نفس المكان والزمان .

ومضت الأيام وسامح يلتقى مع صديقه صاصا ولكن أشياء كثيرة تغيرت من ذلك اليوم ، فإن صاصا لم يكن يحب أن يستقر فى مكان واحد لفترة طويلة ، من أجل ذلك، كان يأخذ سامح ويقومون معاً برحلات مثيرة .

شيئاً فشيئاً بدأ سامح يتعرف على العالم الغريب المثير الذى كان يعيش فيه صاصا ، فلقد أخذه صاصا ليتعرف على قبيلته التى كانت تسكن بالقرب من ضفة النهر ، وتبنى مساكنها فوق أشجار الجميز العملاقة ، وعرف كيف استوطنت عائلة صاصا وأجدادها تلك المنطقة منذ زمن

obeikandl.com

بعيد، بعد أن قاموا بهجرات شاقة كثيرة بحثاً عن وطن دافئ آمن يستطيعون فيه أن يعيشوا فى أمان .

وكان صاصا صديقاً لكل الأشجار والحيوانات والأسماك، لدرجة أن أسماك النهر كانت تتجمع فى منتصف النهر عند قدومه فتومئ له برأسها وتتبادل معه بعض الكلمات فى كل مرة.

لم تعد أشياء مثل هذه تدهش سامح ، فقد وجد نفسه يتعامل مع أصدقاء صاصا بسهولة، يفهمهم ويعرف لغتهم، الشيء الوحيد الذى ظل يحيره هو شجرة الجميز، فهو قبل الآن لم يكن يعرف أنه حتى الأشجار تتكلم، وبمرور

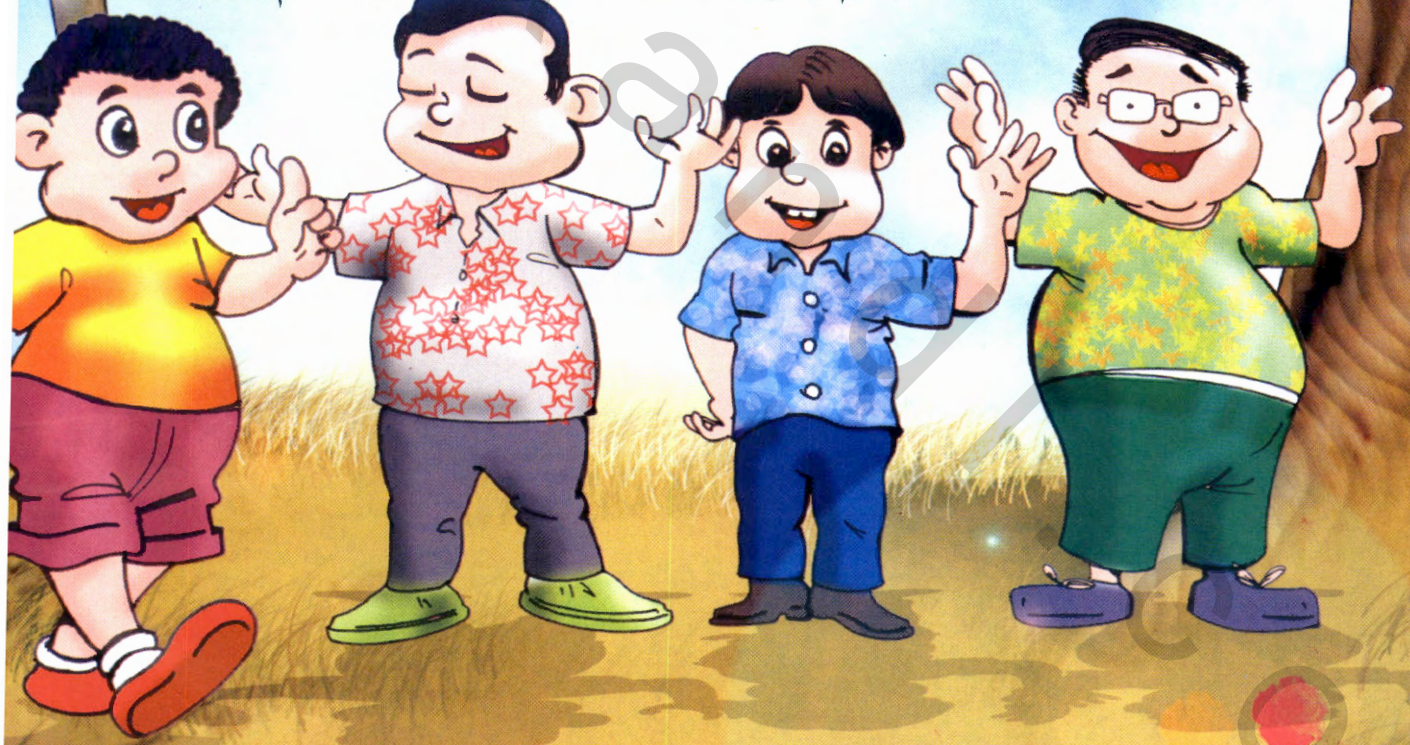

الوقت أصبحت هذه الشجرة صديقة طيبة لسامح ، فكانت عندما تراه تجعل أعضاءها تتموج فى حركات رشيقة تستجلب له نسمات الهواء الرقيقة ثم تفرد أوراقها الضخمة عليه لتحميه من أشعة الشمس فى الظهيرة .

وهكذا كانت الأيام تمضى فى سعادة ومرح ، ففى كل يوم اكتشاف جديد ، وكان سامح ينتظر الغد، الذى سوف يأتى دائماً بأحداث جديدة رائعة .

وفى يوم ذهب سامح كالمعتاد إلى ضفة النهر ، ولكنه لم يجد صديقه العصفور فى انتظاره ، تعجب سامح كثيراً وانتظر بعض الوقت، وعندما طال الانتظار ولم يأت صاحبه، ذهب سامح إلى مسكنه، وهناك فوجئ أن العُش خاو ، حتى الأفراخ الصغيرة التى لم تكن تستطيع الطيران ليست موجودة

أيضاً .

وهكذا ، لم يكن هناك سوى معنى واحد ، لقد رحلت العصافير فجأة ، أسرع سامح يبحث عن أصدقاء صاصا من الحيوانات والأشجار والفراشات ، ولكن لم يكن أحد منهم يعرف أين اختفت العصافير .

وحدها شجرة الجميز العجوز ظلت صامتة ، نظر إليها كانت تبدو أنها شاخت فى هذا اليوم أكثر من مائة عام ارتمى سامح فى حضنها ، فوجئ بدموع تنساب عليه ، كانت شجرة الجميز تبكى .

صاح سامح : أرجوك أخبرينى يا صديقتى ، لماذا رحلت العصافير ؟ ولماذا الآن تبكين ؟! لا بد أنك تعرفين الحقيقة .

قالت الشجرة بصوت تخنقه الدموع : انظر

نظر سامح إلى حيث أشارت الشجرة بأغصانها ، كانت هناك أكداس من القاذورات ملقاة على ضفة النهر، والروائح الكريهة تنبعث منها ، وقد انزلقت معظم هذه القاذورات إلى الماء ، وعلى الطين الممتزج بالقاذورات وأوراق الشجر الذابلة ، كانت سمكة صغيرة تختنق وقد انقلبت على ظهرها ، أسرع سامح إليها ، إنها «أورى» صديقة صاصا، أخذ يناديها : «أورى».. «أورى».. ، من فعل بك هذا ؟

❖❖❖

فتحت «أورى» عينيها ، وصاحت : النجدة لا أستطيع أن أتنفس.

التقطها سامح وقال:

لا تفزعى ، سأعيدك إلى ماء النهر .

obeikandi.com

لكن «أورى» اندفعت تقول أرجوك لا تضعنى فى هذا الماء القذر ، إن رائحته أصبحت خانقة
وهو ممتلئ بأشياء غريبة قذرة جداً وبعد أن قالت «أورى» ذلك راحت فى غيبوبة ولم تدر بشيء

ذعر سامح ونظر حوله ، عله يجد مكاناً نظيفاً ، ولما لم يجد ، عرف لماذا هربت العصافير
من مكان كهذا ، وبينما هو يتطلع حوله فى ذهول فوجئ بأسراب من الذباب والناموس المتوحش
تحيط به من كل جانب ، جرى سامح عائداً إلى البيت و«أورى» بين يديه ، وهو يحاول أن يتخلص
من مطاردة هذه الحشرات المؤذية.

أخيراً وصل سامح إلى البيت ، دخل مسرعاً ثم أغلق خلفه الباب وملأ إناءاً كبيراً بالماء النقى
وضع «أورى» فيه ، وأخذ يراقبها وهى تسترد وعيها شيئاً فشيئاً .

شعر سامح بالخطر يهدد مدينته الجميلة ، فها هى الحشرات الضارة بدأت تتكاثر، وتزحف على
مدينته ، التى كانت قبل هذا اليوم ملاذاً للكائنات الجميلة ، اليوم هجرتها العصافير المغردة ، واليوم
أيضاً بدأت تختنق الأسماك ، يا ترى ما الذى سوف يحدث غداً؟؟

قرر سامح أن يتدخل لإيقاف هذه الكارثة وإنقاذ أصدقائه من المصير المؤلم الذى يهدد
الجميع ، ولعل صاصا أيضاً يعود .

لم يضيع سامح الوقت ، ذهب على الفور إلى الشجرة العجوز يطلب مشورتها فقالت: لا
فكرت قليلاً يا صديقي، فلن تجد نفسك فى حاجة إلى أن تسألنى ، لقد نظرت حولك فرأيت كيف
تبدل المكان الجميل النظيف إلى مكان ملئ بالأوساخ والروائح الكريهة، فكيف يستطيع عصفور
رقيق أن يعيش فى مكان قذر كهذا ؟ إن الأماكن القذرة لا تسكنها سوى الحشرات المؤذية
المتوحشة. كان يجب أن يرحل العصفور وإذا استمر الحال على ما هو عليه ، فلن تجد فى مدينتك
أى شيء جميل ، ستهاجر كل الأسماك والورود والفراشات والأشجار المثمرة لتجد لها وطناً نظيف

obeikandl.com

تعيش فيه .

حكى سامح لأصدقائه كل ما حدث ، ذهل الأصدقاء مما سمعوه، لكنهم فكروا بجد وحماس : كيف ينقذون مدينتهم ، واتفقوا على خطة الإنقاذ ، ووجدوا أنه لا بد أن يتعاون معهم عدد أكبر من سكان المدينة ، حتى يعرف الجميع ما حدث لبلدتهم ، وهكذا انضم لمجموعة الأصدقاء عدد كبير من الأولاد والبنات والكبار أيضاً .

تضامن الجميع وقسموا أنفسهم إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى تطوعت بتنظيف المدينة وإزالة كل القاذورات منها .

والمجموعة الثانية : أرسلت خطابات إلى جميع البيوت يناشدون فيها السكان عدم إلقاء القمامة وعدم تلويث الشوارع بالقاذورات ولا النهر بالنفايات والقاذورات .

أما المجموعة الثالثة ، فقد بدأت تغرس الشجيرات الصغيرة فى كل مكان حتى تجد الطيور أماكن كثيرة لبناء أعشاشها عندما تعود .

حكى سامح لأصدقائه كل ما حدث
ذهل الأصدقاء مما سمعوه، لكنهم فكروا
بجد وحماس: كيف ينقذون مدينتهم
واتفقوا على خطة الإنقاذ ، ووجدوا أنه لا بد
أن يتعاون معهم عدد أكبر من سكان
المدينة، حتى يعرف الجميع ما حدث
لبلدتهم، وهكذا انضم لمجموعة الأصدقاء
عدد كبير من الأولاد والبنات والكبار أيضاً .
تضامن الجميع وقسموا أنفسهم إلى

ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى تطوعت بتنظيف المدينة وإزالة كل القاذورات منها .

والمجموعة الثانية : أرسلت خطابات إلى جميع البيوت يناشدون فيها السكان عدم إلقاء القمامة وعدم تلويث الشوارع بالقاذورات ولا النهر بالنفايات والقاذورات .

أما المجموعة الثالثة ، فقد بدأت تغرس الشجيرات الصغيرة فى كل مكان حتى تجد الطيور أماكن كثيرة لبناء أعشاشها عندما تعود .

obeikandi.com

يوماً بعد يوم ، شهراً بعد شهر، عاماً بعد عام، امتلأت المدينة بالخضرة والهواء النقى وعادت نظيفة جميلة، وصفا ماء النهر ، فتكاثرت فيه الأسماك، واستعادت صحتها وفاح عبير الزهور فى كل مكان .

أما الذباب والناموس فإنه لما لم يجد ما يقتات به من قاذورات غضب واغتاظ جداً وراح يبحث عن بلدة أخرى يقيم فيها .

وبينما كان سامح نائماً ذات ليلة ، شعر وكأنه يسمع صوتاً غريباً ينقر على نافذة غرفته ، نهض وفتح النافذة ، ليندفع عصفور رشيق داخل الغرفة وهو يصفق بجناحيه، عرفه سامح على الفور ، إنه «صاصا» ، فرح سامح بعودة صديقه وانطلقا معا يتنزها فى الشوارع النظيفة ، وعلى ضفاف النهر الصافى وتحت الأشجار المثمرة وبين الورود التى ترفرف حولها عشرات الفراشات بألوانها العجائبية وهما يرددان معاً أغنية ليس لها مثيل ، أول أغنية يشترك فى كلماتها ووضع ألحانها صديقان ، أحدهما من البشر ، والثانى من الطيور !!

العصفور : أنا «صاصا»
أنا «صاصا»
أعودُ لضفة النهرِ
وللأعشاش فى الشجرِ
أعود لبيئة حلوةْ
وعليها أنشد الغنوةْ
برفقة صاحبى سامحْ
فشكراً صاحبى سامحْ

سامح :
بل اشكُر كل أصحابى

obeikandi.com